من روائع الكلم..

قال ابن مسعود - رضي الله عنه-:

إنكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، فمن زرع خيراً فيوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شراً فيوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثلما زرع، لا يسبق بطيء بحفظه، ولا يدرك حريص لم يقدر له.

وقال- رضي الله عنه – : إن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقى، وخير الملة ملة إبراهيم، وأحسن السنن سنة محمد – صلى الله عليه وسلم -، وخير الهدي هدي الأنبياء، وأشرف الحديث ذكر الله، وخير القصص قصص القرآن، وخير الأمور عواقبها، وشر الأمور محدثاتها، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، ونفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة ندامة يوم القيامة، وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، وخير ما ألقي في القلب اليقين، والريب من الكفر، وشر العمى عمى القلب، والخمر جماع الإثم، والنساء حبائل الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، والنَّوْح من عمل الجاهلية.

وقال أيضاً: من الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبراً [1] ولا يذكر الله إلا هجراً. وأعظم الخطايا الكذب، ومن يعُفّ يعفه الله، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يغفر يغفر الله له، ومن يصبر على الرزية [2] يعقبه الله،[3] وشر المكاسب كسب الربا، وشر المآكل مال اليتيم، وإنما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسه، وإنما يصير إلى أربعة أذرع والأمر إلى آخره، وملاك العمل خواتمه، وأشرف الموت قتل الشهداء، ومن يستكبر يضعه الله، ومن يعص الله يطع الشيطان.

وقال - رضي الله عنه - : ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون.

وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً، محزوناً، حكيماً، حليماً، سكيناً، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً، ولا غافلاً ، ولا سخاباً، ولا صياحاً، ولا حديداً.

النفـس الخيِّرة والنفش الشِّرِّيرة:

قال ابن القيم- رحمه الله-:

سـبحان الله! في النفس: كـبر إبليس، وحسـد قابيـل، وعتـو عـاد، وطغيـان ثمـود، وجـرأة النمرود، واستطالة فرعون، وبغي قـارون، وقحة- أي لـؤم- هامـان، وهـوى بلعـام، وحيـل أصحاب السبت، وتمرُّد الوليد، وجهل أبي جهل.

وفيها من أخلاق البهائم: حرص الغراب، وشره الكلب، ورعونة الطاووس، ودنـاءة الجُعـل، وعقوق الضب، وحقد الجمل، ووثوب الفهد، وصولة الأسد، وفسـق الفـأرة، وخبث الحيـة، وعبث القرد، وجمع النملة، ومكر الثعلب، وخفة الفراش، ونوم الضبع.

غير أن الرياضة – أي ترويضـها على الطاعة- والمجاهـدة تـذهب ذلك. فمن استرسـل مـع طبعه فهو من هذا الجند، ولا تصلح سلعته لعقد:{إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَـهُمْ}؛ فما اشترى إلا سلعة هذبها الإيمان، فخرجت من طبعها إلى بلد سكانه التائبون العابـدون) 4

تأمــل في آيــة:

وقال ابن القيم- رحمه الله- في قول الله- تعالى-:{يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُـلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}: يغفر ذنباً، ويفرج هماً، ويكشف كرباً، ويجـبر كسـيراً، ويغـني فقـيراً، ويُعلِّم جـاهلاً، ويهـدي ضـالاً، ويرشـد حيرانـاً، ويغيث لَهْفانـاً، ويفـك عانيـاً، ويشـبع جائعـاً، ويكسـو عاريـاً، ويشـفي مريضـاً، ويعـافي مبتلىً، ويقبـل تائبـاً، ويجـزي محسـناً، وينصـر مظلوماً، ويقصم جباراً، ويقيل عثرة، ويستر عورة، ويـؤمن روعـة، ويرفـع أقوامـاً، ويضـع

آخرين، لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.(5)

---

1 - المراد أنه يأتي صلاة الجمعة حين ينتهي وقتها. ودبر الشيء نهايته، كما في الآية (وإدبار النجوم). أي انتهاءها.

2 - الرزية: المصيبة.

3 - المراد أن الله يجعل حسن العاقبة له.

4- (الفوائد) صـ114.

5- (صحيح الوابل الصيب) صـ120.